مفتوحة أمام استخدام أسلحة الدمار الشامل الاستراتيجية الكيميائية والبيولوجية والنووية ضد قواعد الإرهاب وملاذهم وحلفائهم في أفغانستان إن لزم الأمر . وإزاء هذا التغطرس الأمريكي صمدت حركة الطالبان وصرح الملا محمد عمر أمير المؤمنين في أفغانستان بأنه لن يسلم أسامة بن لادن والمجاهدين العرب ولن يرضخ للضغوط الأمريكية وكان له موقف مشرف إثر زيارة وفود أمريكية وسعودية وباكستانية إلى مقره في قندهار.

■ ومن الناحية العسكرية أدت حشود إيران إلى سحب قسم كبير من قوات الطالبان إلى الجنوب الغربي وأدت تهديدات روسيا وطاجكستان وأوزبكستان والإعلان عن مناورات وتحركات عسكرية إلى سحب قسم رئيسي آخر من قوات الطالبان للشمال الذي لم يستقر بعد . وأدى تحرك الشيعة في باميان ووصول مساعدات جوية إيرانية إلى حزب الوحدة الشيعي إلى سحب قسم ثالث من قوات الطالبان إلى خطوط القتال مع الشيعة شمال وجنوب باميان .

ويبدو أن هذه التحركات العسكرية للطالبان لمواقع التوتر أدت إلى إحداث فجوات عسكرية في دفاعات الطالبان حول مدينة كابل ولاسيما شمال العاصمة على الخطوط المواجهة لقوات مسعود وسياف . وبدا وكأن هناك تنسيقا عالميا مع قوات المعارضة في الداخل ليقوموا بهجوم خاطف مفاجئ يستردون فيه كابل مما قد يؤدي إلى زعزعة وضع الطالبان في الشمال . ولا سيما إذا رافق ذلك هجوما إيرانيا على الجنوب الغربي لأفغانستان حيث قندهار وما جاورها المعقل الأصلي للطالبان . وربما يؤدي هذا لانسحاب كيفي ومذبحة شبيهة بالتي حصلت سابقا للطالبان في الشمال .

أما الأحداث العسكرية التي دارت حول كابل في الأسبوع الماضي فقد رجحت هذا السيناريو الذي قدمنا والذي كانت متابعة الأخبار عالميا وداخليا تشير إليه . .

ففي يوم الخميس الخامس من سبتمبر أيلول بدأت قوات تابعة لمسعود وسياف بمهاجمة دفاعات كابل الشمالية شمال العاصمة على محورين رئيسيين أحدهما لا يبعد عن مركز كابل أكثر من خمسة عشر كيلو مترا فقط . وبدا فعلا أن دفاعات العاصمة تشكو من قلة العدد والعدة التي كانت سحبت للشمال والجنوب الغربي وخطوط باميان . واستطاعت القوات المهاجمة أن تستولي على عدد من المرتفعات الهامة على مدخل كابل واستمرت الاشتباكات بينها وبين بعض الطالبان والمجاهدين العرب والباكستانيين والمجاهدين من جنسيات إسلامية أخرى حتى بلغ الهجوم أشده ليلة الإثنين السابع من سبتمبر حيث نشبت معركة حادة استمرت ثلاثة عشر ساعة حتى صباح الإثنين . وصمد في تلك الليلة المجاهدون العرب ومن معهم من الأخوة الباكستانيين والأوزبك والتركستان وغيرهم حتى وصلت حشود جديدة من الطالبان سدت الثغرات الموجودة وانكسر الهجوم وانسحبت قوات تابعة لسياف شكلت أساس ذلك الهجوم مخلفة حول المنطقة خسائر كبيرة . واستشهد من الأخوة العرب خمسة أحباب تقبلهم الله في واسع رحمته ونحو عشرين من الأخوة من جنسيات متعددة بالإضافة لبعض الطلبة

يجهلونه وهو أساس الفتوى ومعرفة حكم الله في هذه النوازل . لم لنبصر المسلمين عامة بأحوال أهـــم فرصة سنحت لأهل السنة والجماعة تبشر بتحول ميزان القوى بين أهل الإسلام وأعدائـــهم في هـــذه المعارك المصيرية التي نعيشها اليوم . ولتقيم الحجة على من تبقى من أهل الخير ممن تبقى مـــن علمـــاء المسلمين ونضعهم أمام مسؤولياتهم للقيام بحق الله في تحديد حكم الله فيما نحن فيه وواجب المســـلمين تجاهه .

نويت هذا فعلاً وأعددت بعض الأوراق ثم شغلت عنها مدة إلى أن جاءنا الأسبوع الماضي بأحداث محلية وعالمية وضعتني وجهاً لوجه أمام فرضية هذه الشهادة . وقد تتابعت الأحداث علينا منذ نحو ثلاثة أشهر على الشكل التالي :

- فقد اندفعت حركة الطالبان في فتوحات متتابعة نحو الشمال وبسطت سيطرتها وتطبيق الشـــريعة على كامل الأراضي الأفغانية ما خلا وادياً ضيقاً يمتد من شمال كابل إلى ولاية بدخشان في الشمال الشرقي لأفغانستان بالإضافة إلى مقاطعة باميان التي يقطنها الأقلية الشيعية بأفغانستان .
- بعد هذه التحولات استنفر العالم الغربي ووسائل إعلامه بزعامة أمريكا وتحركت روسيا ودول آسيا الوسطى الشيوعية التابعة حتى الآن لموسكو وهددت بالتدخل في أفغانستان. واستنفرت إيران وسائل إعلامها وقامت بنشاط ديبلوماسي غير عادي تستعدي الأرض كلها على أفغانســـتان والطالبـــان وتحرك رؤوس التحالف المعارض لطالبان (رباني - مسعود - دوستم - سياف - حكمتيار) مستغلين الطرف العالمي لتقديم أنفسهم كخيار على الأرض مستعد لتنفيذ سياسة النظـــام العـــالمي الجديد إن قدم لهم المساعدة ضد الطالبان . وفي الأيام الأخيرة حضر كلينتون إلى موسكو للتبـــاحث مع يلتسين في شئون آسيا الوسطى في ظل عاصفة من الانهيارات الاقتصادية التي تبشر بزوال روسيا إلى الأبد إن شاء الله . وتدفقت المساعدات العسكرية على الأحزاب المناهضة لطالبـــان ولا سيما لمسعود وبقايا جماعة سياف من طاجيكستان جواً ، وطار دوستم آخر رموز النظام الشيوعي البـــائد في أفغانستان إلى استانبول ثم عاد إلى أوزبكستان.
- ثم تتابعت الأحداث وضعدت إيران موقفها بإجراء مناورات عسكرية على الحدود الجنوبية الغربيـــة لأفغانستان ثم أتبعت ذلك بدق طبول الحرب مسلطة الضوء على حادث مقتل ديبلوماسيين إيرانيـــين إبان اقتحام الطالبان لمدينة مزار شريف. ثم تأكدت أخبار دخول إسرائيل على خط الأحداث وهـــي المعروفة بنشاط وسرعة حضورها في مناطق تعتبرها استراتيجية لأمنها الإقليمي ونقلـــت وكـــالات الأنباء خبر وصول بعض جنرالات جيش الدفاع الإسرائيلي إلى شمال أفغانستان ووصول مســـاعدات منها لرباني ودستم وتحدثت وسائل الإعلام العالمية عن هذا الحضور الإسرائيلي في شمال افغانســـتان. وخلال تلك الأجواء صعد الموقف كثيراً منذ نحو شهرين قيام أمريكا بتوجيه ضربة صواريخ الكـــروز إلى معكسرات للمجاهدين العرب في أفغانستان . ثم تمديد أمريكا بأن الحرب مفتوحة مع قواعـــد الإرهاب الإسلامي الذي تحميه حركة الطالبان في أفغانستان . ثم لوحت أمريكا بشـــأن الخيـــارات

المبحث الثاني : الشبه المثارة حول الطالبان والرد عليها

لقد أثار بعض الشباب بعض الشُبه حول حركة طالبان، وأهم هذه الشُبه هي :

اولاً : أنهم يقرون المشركين من عُباد القبور على شركهم، فهم إذن مشركون عندهم!!.

ثانياً : أنهم يحكّمون القوانين الوضعية في فرض الضرائب على الناس.

ورداً على هذه الشُبه نقول :

أما عن الشُبهة الأولى فهي مبنية على مقدمتين ونتيجة، فالمقدمة الأولى هي أنه يوجد في أفغانستان مشركون يعبدون القبور، والمقدمة الثانية هي أن الطالبان علموا بذلك ورضوا به وأقروه، والنتيجة هي الحكم بكفر طالبان بذلك.

اما المقدمة الأولى وهي وجود المشركين الذين يعبدون القبور في أفغانستان، فنقول بشأنها ما يلي :

١- لا شك أن عبادة غير الله تعالى والاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل من جلب نفع أو دفع ضر هي شرك أكبر مخرج من الملة.

٢- إن الحكم على معين بالكفر لا يكفي فيه مجرد الشائعات والظنون، بل لا بد من تحقق ارتكابه للفعل المُكفر غير المُحتمِل، مع توفر شروط التكفير، وانتفاء موانعه.

إذا عرفنا ذلك، فلنحاول تطبيقه على المسألة التي أمامنا، فما هو الدليل القاطع على ارتكاب الناس في أفغانستان للكفريات المخرجة من الملة؟.

ولا يعني هذا السؤال نفي وجود بعض هؤلاء، ولا إثباته، ولكنه يطالب بدليل الإثبات القطعي الذي استند عليه هؤلاء الشباب، لا في الحكم بتكفير العوام الذين يقولون إنهم يقومون بتلك الأعمال فقط، بل بكفر غيرهم من الناس الذين يرى هؤلاء الشباب أنهم لم يغيروا منكراتهم تلك.

فهل رأى هؤلاء الشباب بأعينهم حالات من هذا القبيل؟ ورأوا الطالبان يقرونهم على ذلك ويرضون بفعلهم؟.

لم يذكروا أي دليل يثبت وجود مثل هذه الحالات، وإنما غالب ما عندهم ظنون وشائعات.

ونحن في الوقت الذي لا نستبعد فيه وجود بعض البدع والمخالفات الشرعية في مجتمع تبلغ فيه الأمية ٩٠٪ من السكان، فإننا لم نرَ طيلة السنوات التي أقمناها في هذه البلاد حالات شركية من الاستغاثة بغير الله أو السجود للأموات أو الذبح لأصحاب القبور، نعم توجد حالات من قبيل التبرك والبناء على القبور، وهذه وإن كانت مخالفات وبدعاً محرمة، فإنها لا تصل إلى حد الكفر المخرج من الملة.

إن أول ما يُرد به على شبه هؤلاء الشباب هو أنهم لم يثبتوا التهم التي هي أساس شبههم، ويكتفون بالشائعات التي حذر منها القرآن الكريم بقوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإٍ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾. وحذر منها صلى الله عليه وسلم بقوله (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث). وقال: (كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع)، فكيف بمن يصدر أحكام الكفر بناء على كل ما سمع؟!.

إن سلاح الشائعات من أفتك الأسلحة في تفريق كلمة المسلمين وشق صفوفهم،